تجليات المكان في نوادر البخلاء

د. علي محمد السيد خليفة

التمهيد:

أهمية الموضوع

على الرغم من كثرة الدراسات عن كتاب البخلاء للجاحظ[١]، فإن الدراسات عن نوادر البخلاء في غيره من كتب التراث العربي قليلة جدًّا، ولم أر دراسة اهتمت بذكر تجليات المكان في نوادر البخلاء سواء في كتاب البخلاء للجاحظ، أو غيره من كتب التراث العربي التي اهتمت بجمع نوادر البخلاء؛ ولهذا فقد كتبت هذه الدراسة عن تجليات المكان في نوادر البخلاء، متتبعًا هذه النوادر في كتب التراث العربي المختلفة التي جمعت هذه النوادر.

كثرة نوادر البخلاء في كتب التراث العربي

وحين ننظر في كتب النوادر والفكاهة والمختارات الأدبية في تراثنا نرى أن نوادر البخلاء تأتي في صدارة النوادر المذكورة بها من حيث الكم مع نوادر الأعراب، وتحتل نوادر الفئات الأخرى مساحات أقل، كنوادر الصبيان ونوادر العلماء ونوادر النساء وغير ذلك.

وربما كان من أسباب كثرة نوادر البخلاء في المجتمع العربي في العصور القديمة دخول عناصر غير عربية عليه وامتزاجها به، وكانت بعض هذه العناصر معروفة بالبخل، فكثر التندر بها، كأهل مرو الذين أفاض الجاحظ في كتاب البخلاء في الحديث عن بخلهم[٢]، كذلك نرى أن العربي بطبيعته كريم[٣]، وقد استهجن صفة البخل في أهل بعض البلاد المفتوحة، وعبر عن نقده لأهل هذه البلاد بالنوادر التي حكاها عنهم، وأيضًا نرى أن بعض المدن – لا سيما المدن البحرية كالبصرة – قديمًا كان يكثر بها التجار، ومن تتبعنا لكتاب البخلاء نرى ارتباط البخل بكثير من التجار في مجتمع البصرة على وجه الخصوص؛ ولهذا تعرض الجاحظ لنقدهم في كتاب البخلاء، ويضاف لهذا أن نمط البخيل يدعو للفكاهة خاصة حين يوضع في مواقف طريفة، كأن نرى طفيليًّا يحتال لأكل طعامه[٤]، أو نرى بعض أصدقائه يهجمون عليه حين تناوله طعامه، ويحاول أن يتخلص من هذه المواقف الصعبة بأساليب تدعو للفكاهة، كما سوف نرى في عرضنا لنوادر البخلاء في هذه الدراسة.

ظهور العلامات المكانية بشكل بارز في نوادر البخلاء

وفي ظني أن نوادر البخلاء –على وجه الخصوص– تتضح فيها العلامات المكانية[٥] بشكل بارز لا نراه في النوادر عن الفئات الأخرى؛ وذلك لكون البخيل كثيرًا ما يُرَى في مكان مغلق، وبخاصة في بيته يتناول طعامه، أو هو في بيت بعض أصحابه يأكل من طعامهم، وحتى في المرات القليلة التي يكون فيها في أماكن مفتوحة فإننا نعرف – في الغالب– صفة هذا المكان المفتوح من سياق تلك النوادر.

المكـان المغلق

وفي أكثر نوادر البخلاء نرى ذكرًا للمكان المغلق الذي يتواجد فيه البخيل – وهو بيته أو بيت آخر يأتيه زائرًا –، ولكننا نرى بعض نوادر البخلاء لا يذكر فيها صراحة المكان الذي تحدث فيه، ولكننا من تأمل هذه النوادر وما يحدث فيها ندرك أنها تحدث في مكان مغلق – وغالبًا يكون بيت البخيل – كأن نراه يخاطب في النادرة غلامه أو جاريته بإحضار الطعام، كما نرى في هذه النادرة، "أضاف رجل رجلاً فقال المضيف: يا جارية هاتي خبزًا وما رزق الله، فجاءت بخبز وكامخ ثم قال أيضًا: يا جارية هاتي خبزًا وما رزق الله، فجاءت بخبز وكامخ، وقال الضيف: يا جارية هاتي خبزا ودعي ما رزق الله"!(٦).

ونستشف من النظر للنادرة السابقة أنها تحدث في بيت البخيل، وأنه يضيق على ضيفه في إكرامه مستغلاً سلطته على المكان المدعو فيه هذا الضيف، وتأتي الفكاهة من جرأة الضيف في التعليق على طبيعة طعام البخيل له بما فيه من سوء، والتعليق على المضيف بما في سلوكه من إهمال لواجبات الضيافة.

وفِي النادرة التالية نرى أيضًا عدم ذكر المكان بها، ولكننا من النظر في حدثها ندرك أنها تحدث في بيت أحد البخلاء، وهو أيضًا يستغل سلطته في المكان؛ ولهذا لا يجعل ضيفه يساويه في نوعية الطعام الذي يأكله هو من مائدته.

"وقال آخر كنت عند رجل من جلة الناس، فقدمت لوزينجة رطبة، فأكل واحدة، وأكلت واحدة، ثم أكل أخرى وأكلت أخرى، فالتفت إليّ فقال: إذا أكلت كما آكل أنا فأين فضل المالك؟!"(٧).

وقد رأينا في النادرتين السابقتين أن البخيل لا يراعي آداب الذوق مع ضيوفه في بيته حين وضع الطعام على مائدته، بل إنه يستغل سلطته على بيته فيضيق على ضيوفه ويسئ إليهم عند المؤاكلة، ويصل الأمر معه في بعض النوادر أن نراه يحذرهم من الإفراط في أكل طعامه بصورة ساخرة فيها تهديد منه لهم، كما نرى في هذه النادرة، "رفع بخيل رغيفًا من خوانه بيده ثم رطله والقوم يأكلون، ثم قال: يزعمون أن خبزي صغار، أي ابن زانية يأكل من هذا الخبز رغيفين ؟!"(٨).

وفي نوادر أخرى– نستشف من أحداثها أنها تحدث في بيت البخيل – نرى البخيل فيها يسئ لضيوفه أيضًا من خلال استغلاله سلطته في بيته، ولكن طريق إساءته لضيوفه هنا ليس في منعهم من طعامه، ولا في رداءة نوعه، أو قلته، إنما إساءته لهم في مِنِّهِ عليهم بطعامه، كما نرى في هذه النادرة، "وحدثني أبو الأحوص الشاعر قال: كنّا نفطر عند الباسياني، فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقي على فراشه ويقول ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾(*)"(٩).

وإذا كنّا في النوادر السابقة لم نر ذكرًا للمكان الذي تحدث فيه تلك النوادر – ولكننا

استنتجنا من حوادثها أنها تحدث في بيت البخيل، ورأيناه يسئ أدبه فيها مع ضيوفه مستغلاً سلطته على بيته – فإننا نرى أن أكثر نوادر البخلاء تحدث في بيت البخيل، ونرى فيها إشارات واضحة تؤكد أنه في بيته.

وفي كثير من نوادر البخلاء التي يكون مكانها داخل بيوتهم نراهم فيها يأكلون أو يستعدون للأكل، ونراهم أيضًا يستشعرون الخوف من أن يهجم عليهم أحد ليشاركهم في طعامهم، ويضيع عليهم إحساسهم بلذة أنهم يأكلون وحدهم، وفِي النادرة التالية نرى البخيل يحتاط كثيرًا حين أكله في بيته، "وكان بعض البخلاء يأكل نصف الليل، فقيل له في ذلك، فقال:

يبرد الماء، وينقمع الذباب، وآمن فجأة الداخل، وصرخة السائل، وصياح الصبيان"(١٠).

وفي النادرة التالية نرى البخيل يتشدد أيضًا في تستره داخل بيته ساعة طعامه خشية أن يغير عليه أحد في تلك الساعة، فيفسد عليه لذة وحدته ساعة الطعام، "وقال الجاحظ: قال رجل من البخلاء لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال: هذا خطأ، بل قل: أغلق الباب وأت بالطعام، قال: أنت حر لعلمك بالحزم"(١١).

والبخيل في بيته ساعة طعامه لا يزعجه فقط دخول ضيف عليه مغيرًا، بل يزعجه أيضًا أن يشاركه أي أحد من أهل بيته طعامه بما في ذلك زوجته، كما نرى في هذه النادرة، "وطبخ بعض البخلاء قدرًا، فقعد هو وامرأته يأكلان، فقال: ما أطيب هذا القدر لولا الزحام! قالت: أي زحام ها هنا وإنما أنا وأنت، قال: كنت أحب أن أكون أنا والقدر!"(١٢).

ومن أشد نوادر البخلاء فكاهة تلك التي نرى فيها البخيل في بيته وقد فوجئ بضيف على باب بيته ساعة طعامه، وهنا نراه يحتال ليخفي طعامه عن ضيفه قبل أن يدخل بيته، أو نراه يحاول أن يزهد ضيفه في الطعام الموضوع أمامه على مائدته، وفِي هذه النوادر نرى عناصر قصصية جيدة، ففيها حدث مكتمل، وفيها صراع نستنتجه من حيرة البخيل وقد فوجئ بضيف في بيته، ويأتي نتيجة هذا الصراع بالتخلص الذي وصل إليه البخيل، وأنقذ به طعامه من فم ضيفه، أو بوقوع البخيل فريسة لضيفه الذي لم تجز عليه حيلته معه ليزهده في طعامه، كما نرى في هاتين النادرتين، "ودخل آخر على بعضهم وبين يديه طبق عليه تين، فلما أحس بالداخل غطى الطبق بذيله، وأدخل رأسه في جيبه، وقال للداخل كن أنت في الحجرة الأخرى حتى أفرغ من بخوري!"(١٣).

وحكي "عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل، فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه، فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز، فقال له: ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال: نعم، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة، فقال له البخيل: مهلاً يا أخي والله إنه يحرق القلب، قال: نعم صدقت، ولكنه قلبك"(١٤).

وبعض النوادر لا نرى فيها ما يحدث في داخل بيت البخيل؛ لأن الراوي لها يقف خارجه،

ولكنه من خلال بعض الأصوات التي تصدر عن بيت البخيل يعرف ما يجري فيه، كما نرى في هذه النادرة، "قال محمد بن سلام: كنّا مع أبي عبيدة في جنازة ننتظر إخراج الميت ونحن بقرب دار الأصمعي، فارتفعت صرخة من دار الأصمعي، فبادر الناس ليعرفوا ذلك، فقال أبو عبيدة: إنما يفعلون هذا عند الخبز، كذا يفعلون إذا فقدوا رغيفا!"(١٥).

والأثر الشعوبي واضح في النادرة السابقة، فهي – في الغالب – من وضع شعوبي الفرس المتعصبين لأبي عبيدة الفارسي على الأصمعي العربي، والتصوير الكاريكاتوري لبخل الأصمعي وأهل بيته في تلك النادرة يؤكد أنها مولدة، ولا تعبر عن واقع حدث بالفعل.

وفي النوادر السابقة رأينا البخيل في داخل بيته، ولكننا في نوادر أخرى نرى البخيل في داخل بيت مغلق، ولكنه ليس بيته، بل بيت أحد أصحابه، وهنا نراه مختلفاً كثيرًا عن وضعه في بيته، فقد رأيناه في بيته يحتاط كي لا يغير عليه ضيف ساعة طعامه، ويتضايق لو شاركه أحد من أهل بيته طعامه، ويقوم بعمل بعض الحيل إن هجم عليه ضيف وهو يتناول طعامه. أما عن حاله في بيوت الآخرين فنراه على العكس من حاله في بيته، فهو فيها منشرح بشوش، ولعله أكثر الحاضرين في تلك البيوت فكاهة، ويرى أن خفة ظله هي وسيلته لتحمل مضيفيه له، خاصة أنه يأتي موائدهم دائمًا ولا يدعوهم لبيته إلا في أحوال نادرة، "وقال بعضهم نزلنا دارا بالكراء للكندي على شروط، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة، وبعر الشاة، ونشوار العلوفة وألا يخرجوا عظمًا ولا يخرجوا كناسة، وأن يكون له نوى التمر وقشور الرمان والغرفة من كل قدر تطبخ للحُبْلى في بيته، وكان في ذلك يتنزل عليهم، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يتحملون ذلك"(١٦).

وها هي ذي نادرة أخرى عن بخيل ينشر الدعابة في بيت مضيفية لتستمر دعوتهم له، "وكان أحمد بن خلف لا يفارقُ مَنازلَ إخوانه. وإخوانهُ مخاصيبُ مناويب، أصحابُ نفح وترَفٍ وكانوا يُتْحفونه ويدلّلونه ويفكّهونه ويحكمونه، ولم يشكّوا أنه سيدعوهم مرَّة، وأن يجعلوا بيتَه نُزهةً ونشوةً. فلمّا طالَ تغافلهُ، وطالَتْ مُدافعتهُ، وعرَّضوا له بذلك فتغافَل، صرَّحوا له.

فلمّا امتنع قالوا: اجعَلْها دَعْوةً ليسَ لها أخت. فلمّا بلغ منهُ ومنهُم المجهود، اتَّخذا لهم طُعَيِّمًا خفيفًا شهيًّا مَليحًا، لا ثمن له، ولا مؤنةَ فيه.

فلمّا أكلوا وغَسَلوا أيديَهم، أقبل عليهم، فقال: أسألكم بالذى لا شىءَ أعظمُ منهُ، أنا الساعةَ أيسَرُ وأغنى أو قبل أن تأكلوا طعامى؟ قالوا: ما نشُكُّ أنك – حينَ كنتَ والطعامَ فى ملكِك – أغنى وأيْسَر. قال: فأنا الساعةَ أقربُ إلى الفقرِ، أم تِلك الساعة؟ قالوا: بل أنتَ الساعةَ أقربُ إلى الفقرِ. قال: فمن يلومُنى على دعوةِ قومٍ قرَّبونى من الفقرِ وباعدونى من الغِنى، وكلَّما دعوتُهم أكثرَ، كنتُ من الفقرِ أقربَ ومن الغنى أبعدَ؟!"(١٧).

ويعلق الجاحظ على موقف أحمد بن خلف في النادرة السابقة بقوله: "وفى قياسِه هذا أنَّ من رأْيه أن يهجُرَ كلَّ من استسقاه شربةَ ماء، أو تناولَ من حائطِه تينة ومن خليطِ دابته عودًا"(١٨).

المكان المفتوح

وكما قلنا فأكثر نوادر البخلاء تتم في أماكن مغلقة، ولكننا نرى بعض نوادر البخلاء تحدث في أماكن مفتوحة، وفِي هذه النوادر قلما نرى البخيل في حالة أكل للطعام.

وها هي ذي نادرة من نوادر قليلة نرى البخيل فيها يدعو شخصًا لطعامه في مكان مفتوح، هو متنزه، ونرَاه في هذا المكان يتعامل مع الطعام بحرص شديد، ولا يؤثر فيه جمال المكان الذي هو به، فيخرج عن سنته في التضييق والبخل حتى على نفسه، "وقال الجاحظ: دعا أبو العتاهية عياش بن القاسم إلى بعض المتنزهات فاتخذ له ضروبًا من الأطعمة، وكان في أبي العتاهية شُح شديد، فدخلت إليهما فإذا أبو العتاهية يأكل في صحفة بين يديه فيها ثريد بخل وبزر، فشممته، فقلت: أتدري ما تأكل؟ قال: نعم، غلط الغلام بين حبة الزيت والبزر، فصب بزرًا، فكرهت أن يرفع من بين يدي، فيبطل ولا يأكله أحد، وهما عندي قريب من قريب، فرأيت أن آكله ولا يضيع بعدي"(١٩).

وكما قلت فالبخيل قلما يرى في النادرة في مكان مفتوح، وإذا رؤي فيه فهو قلما يكون فيه في حالة أكل، وإنما الغالب على هذه النوادر التي يُرَى فيها البخيل في أماكن مفتوحة أن يكون في شجار مع السُّؤَّال، أو مع أشخاص ينتقدون بخله، أو ما شابه ذلك.

والبخيل أشد الناس كراهية للسؤال، وقلما يعطيهم شيئًا، ومع أنه غالبًا ما لا يعطيهم أي عطاء في أي نادرة، فإنه مع ذلك يتضايق من طلبهم عطاءه، "واشترى رجل من البخلاء دارًا وانتقل إليها، فوقف ببابه سائل فقال له: فتح الله عليك، ثم وقف ثانٍ فقال له مثل ذلك، ثم وقف ثالث، فقال له مثل ذلك، ثم التفت إلى ابنته فقال لها: ما أكثر السؤال في هذا المكان! فقالت له: يا أبت ما دمت مستمسكًا بهذه الكلمة فما تبال كثروا أو قلوا"(٢٠).

وفي نوادر البخيل مع السؤال نرى البخيل فيها غالبًا ما يكون متحصنًا داخل بيته والسائل هو الذي يقف خارجه يطلب عطاءه، وكثيرًا ما ينهر البخيل السائل في هذه النوادر، ولا يكتفي بمجرد رده، كما نرى في هذه النادرة، "وقف على باب [أبي الأسود الدؤلي] سائل وهو يأكل، فقال السلام عليكم، فقال: كلمة مقولة، قال: أدخل؟ قال: وراءك أوسع لك، قال إن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليها، وأغلق دونه بابه!"(٢١).

وفي بعض نوادر البخلاء التي تصور لنا علاقتهم بالسؤال نرى السائل حين يرده صاحب البيت البخيل من داخل بيته فإذا بالسائل ينال منه بالسب، كما نرى في هذه النادرة، "ووقف سائل على باب، فقال: يا أصحاب المنزل، فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال: فتح الله

عليك، فقال السائل: يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك إلى وليمة"(٢٢).

وفي قليل من نوادر البخلاء نرى البخيل يعطي السائل الذي يطلب عطاءه، وفِي مثل هذه النوادر غالبًا ما يكون السائل والبخيل في مكان معبر مفتوح كطريق، ولعل السائرين والواقفين في هذا المكان المعبر المفتوح يؤثرون على البخيل والسائل يطلب عطاءه، فيخجل منهم فيعطيه، ولكنه مع عطائه له لا يخرج عن حد البخل بِأفعاله التي تصاحب عطاءه له، كما نرى في هذه النادرة، "وسأل خالد بن صفوان رجل فأعطاه درهمًا، فاستثقله السائل، فقال: يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة، وإن العشرة عشر المائة وإن المائة عشر الألف، أما ترى كيف ارتفع الدرهم إلى دية مسلم!؟"(٢٣).

دلالات المكان في نوادر البخلاء

من المهم أن نقول: إن المكان في نوادر البخلاء له دلالات بعضها ظاهر وبعضها خفي، ونحتاج في تلمسه لقراءة الأبعاد العميقة للنادرة، وقد رأينا في النوادر السابقة صلة البخيل القوية بالمكان المغلق لا سيما في بيته، وكيف يبدو كأنه في حالة حذر شديد فيه وهو يأكل خشية أن يفجأه ضيف يفسد عليه انفراده بطعامه، وأيضًا رأينا دلالات المكان المفتوح على البخيل، فهو فيه في مواجهة مع السؤال ومن يستنكرون عليه بخله، أو من يراقبون حركاته في البيع والشراء؛ ليتندروا بنوادره في البخل.

دلالــة المكــان في نــوادر الــبخلاء علــى الصــراع الشعوبي العربي

ولكن المكان في نوادر البخلاء له دلالات أخرى سياسية واجتماعية أيضًا، ومن دلالاته السياسية والاجتماعية تصويره للصراع الشعوبي العربي، فقد كانت النادرة إحدى الوسائل التي استخدمت في المواجهة بين العرب والشعوبية، ومن ضمن هذه النوادر التي استخدمها الفريقان – العرب والشعوبيون لا سيما من الفرس– في ذلك الصراع نوادر البخلاء التي نرى للمكان فيها دلالات واضحة على هذا الصراع الشعوبي العربي، ففي بعض نوادر البخلاء نرى بعض القبائل العربية التي تعيش في أماكن بعينها ترمى بالبخل، ولو بحثنا في المسألة لأدركنا أن أشخاصًا بأعينهم من بعض القبائل قد أتوا أفعالاً يعاب فيها عليهم بالبخل، ولكن الشعوبية عممت صفة البخل على كل القبائل التي عرف أشخاص قلائل منها بهذه الصفة، وقد وضح الجاحظ أسلوب الشعوبيين هذا في التشنيع على بعض القبائل العربية في كتاب الشعوبية المفقود الذي أشار إليه في كتاب البخلاء ووضح منهجه فيه، وهو ما ذكرناه الآن(٢٤).

وفي الحق فإن الشعوبيين لم يستطيعوا أن ينالوا من العرب كثيرًا في نوادر البخلاء(٢٥) لشهرة العرب منذ الجاهلية بالكرم؛ ولأنه في العصر العباسي الذي انتشرت فيه هذه النوادر كانت هناك بعض البلاد الفارسية – مثل خراسان وأهل مرو منها على وجه الخصوص

– هي المشهورة بالبخل، وغطت شهرتها على أي بلاد أخرى.

وأكثر بلد اشتهر بالبخل في العصر العباسي هو خراسان، وأهل مرو منها بشكل خاص، حتى لقد صار وصف أي بخيل في النادرة بأنه خراساني أو مروزي يزيدها فكاهة لشهرتهما بالبخل، ولا شك أن بعض النوادر المنسوبة لأهل خراسان ومرو – على وجه الخصوص – صحيحة تعبر عن حوادث حقيقية التقطتها النادرة ولم تضف شيئًا لها سوى بلاغة التركيز التي بها، والعرض القصصي الفكاهي الذي تصاغ من خلاله، ولكن هناك نوادر أخرى نسبت لأهل خراسان– والمروزيين منهم خاصة – وفيها ما يدل على يد الوضع، فإنها لا شك ولدت للسخرية من أهل خراسان خلال الصراع الشعوبي العربي.

ونرى الجاحظ في كتاب البخلاء يعرض علينا في أوله نوادر أهل خراسان – والمراوزة منهم خاصة – بعد ذكره رسالة سهل بن هارون، ووضع الجاحظ نوادر المراوزة في بدايات كتابه له دلالات، فهو يريد أن يشد قارئه لكتابه، فيعرض له نوادر المراوزة، وهي شديدة الطرافة، وأكثرها قصير، وفيها لوحات ساخرة قل أن نراها في نوادر أخرى في كتاب البخلاء، ثم إن الجاحظ يدرك أن المتلقي لديه استعداد كبير للضحك من أي نادرة تنسب للمراوزة لشهرتهم بالبخل.

وها هي ذي إحدى نوادر الجاحظ عن أحد المراوزة في كتاب البخلاء وهو في بيته متحصن به، "وقال الجاحظ: قال أصحابنا: يقول المروزي للزائر إذا أتاه والجليس إذا طال جلوسه: تغديت اليوم؟ فإن قال: نعم، قال: لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيب، وإن قال: لا قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"(٢٦).

وبصفة عامة فالذي يغلب على بخلاء الجاحظ أنهم أهل كلام وجدل، وهم يستخدمون قدراتهم، في الكلام والجدل للدفاع عن مسلكهم في البخل والتقتير، وفِي وضع الحيل للخروج من المواقف التي قد يضطرون فيها للعطاء.

والمراوزة البخلاء – كما صورتهم النادرة – متمكنون من الجدل والحجاج، وقد رأينا في النادرة السابقة كيف أن البخيل المروزي يحتال بكلامه لأي ضيف يأتيه، ولا يمكنه من طعامه أو شرابه، وفِي الوقت نفسه يظن أنه بحججه التي ذكرها قد حصن نفسه من الذم، ولكن هيهات، فقد كشفت النادرة سفسطته، وكان انتسابه للمكان الذي ولد ونشأ فيه – أي مرو– عاملاً مهمًّا في النظر لسوء نواياه في حججه، وكشف ما فيها من سفسطة.

والبخيل المروزي لا يكف عن بخله حتى بعد مغادرته مرو، بل هو يصحب في سفره وتجواله في البلاد ما اكتسبه من صفة البخل في مرو، كما نرى في هذه النادرة، "وقال أبو نواس: كان معنا في السفينة – ونحن نريد بغداد – رجل من أهل خراسان، وكان من عقلائهم وفقهائهم، فكان يأكل وحده، فقلت له: لم تأكل وحدك؟ قال: ليس علي في هذا الموضع مسألة، إنما المسألة

على من أكل مع الجماعة؛ لأن ذلك هو التكلف، وأكلي وحدي هو الأصل، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل"(٢٧).

فلم ينس البخيل في النادرة السابقة انتماءه لمرو، فتصرف كما لو كان فيها بسلوك أهلها الذي صورته النادرة، واستخدم مقدرته في الجدل ليؤكد سلامة موقفه، وبالطبع لا ننخدع بحججه التي هي سفسطة وتلاعب بالكلام، وأيضًا لكون المكان الذي ينتمي له – وهو مرو – مذكورًا في النادرة فنحن نتأكد من بخله ومن أسلوبه في الدفاع عن نفسه على أنه سفسطة، وكذلك يضحكنا في هذه النادرة وأمثالها ما فيها من قيام البخيل بذكر حجج وأدلة واستشهادات على أمر سخيف لا يستحق هذه الجعجعة في الجدل والاستدلال، وكما قال برجسون في كتاب الضحك فأن تعبر عن الأمر الخسيس بحجج قوية فهذا يؤدي للفكاهة(٢٨).

وكثير من نوادر أهل خراسان– والمراوزة منهم خاصة – تساق من خلال التصوير الكاريكاتوري الذي يضخم صفة البخل فيهم، فلا يسعنا إلا أن نضحك من هذه الصور التي وضعتهم فيها تلك النوادر، وهي صور متحركة فيها كثير من عناصر القصة التي تعمل على تشويق القارئ واستجابته القوية للفكاهة، ومن عناصر الفكاهة فيها استخدام المبالغات، ورسم المواقف، والمفارقات، ووضع الأنماط الشديدة البخل فيها، كما نرى في هذه النوادر التي ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء عن أهل خراسان، وقال الجاحظ: "وزعم أصحابنا أن خراسانية ترافقوا في منزل، وصبروا على الارتفاق بالمصباح ما أمكن الصبر، ثم إنهم تناهدوا وتخارجوا، وأبى واحد منهم أن يعينهم، وأن يدخل في الغرم معهم، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينه بمنديل، ولا يزال ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا أطفئوه أطلقوا عينيه"(٢٩).

ومن النادرة السابقة نستدل أن بخلاء مرو قلما يجتمعون في مكان مغلق أو مكان مفتوح إلا لضرورة، وهم في اجتماعهم لا يعرفون قيم الإيثار والتعاون، بل يحاسب بعضهم بعضًا على أبسط الأمور وأكثرها تفاهة، وقد صورت لنا النادرة السابقة اضطرارهم للاجتماع في منزل – أي مكان مغلق – وكشف هذا المكان شدة بخلهم بشكل كاريكاتوري، فقد شدوا عين رفيق لهم لم يوافق على أن يدفع نفقة مصباح يضئ لهم في الليل.

وإذا كانت النادرة السابقة قد صورت لنا جماعة من المراوزة قد اجتمعوا في منزل – مكان مغلق– لضرورة، وظهر حالهم بشكل فيه سخرية شديدة منهم فإن النادرة التالية تصورهم لنا في مكان مفتوح، ولكننا نراهم فيه لا يأكل واحد منهم مع آخر، "وقال الجاحظ ورأيت أنا حمارة منهم [أي أهل مرو] زهاء خمسين رجلاً يتغدون على مباقل بحضرة قرية الأعراب في طريق الكوفة، وهم حجاج، فلم أر من بين جميع الخمسين رجلين يأكلان معًا، وهم في ذلك متقاربون، يحدث بعضهم بعضًا، وهذا الذي رأيته منهم من غريب ما يتفق للناس"(٣٠).

ومن الغريب أن شعيرة الحج المقدسة التي هم في طريقهم لأدائها لم تؤثر في سلوكهم في التعاون والتماسك والتآلف ونسيان أي فروق بينهم

– ومن أهم أهداف فريضة الحج معايشة الحجاج لروح الإخوة والتراحم والتعاون مع اختلاف بلادهم وأعراقهم وألوانهم – وكذلك لم يؤثر في سلوكهم في ميلهم للبخل خروجهم من مرو ووجودهم في قرية أعرابية، فما اكتسبوه في مرو من صفة البخل لازمهم في أي مكان آخر.

وفي النادرة التالية نرى أهل مرو مرة أخرى وقد اضطروا للمشاركة، ولكنهم خلال مشاركتهم التي اضطروا لها يكشفون عن بخلهم بشكل كاريكاتوري لا ينسى، وقد رسمت عدسة الجاحظ هذا الموقف في تلك النادرة ببراعة شديدة، كأنه صور متحركة نراها أمام أعيننا، ونضحك منها. "وزعموا أنهم [أي المراوزة] ربما ترافقوا وتزاملوا، فتناهدُوا وتلازقوا فى شراءِ اللحمِ، فإذا اشترَوا اللحمَ قَسموه قبلَ الطبخِ، وأخَذَ كلُّ إنسانٍ منهم نصيبَه فشكَّه بخوصةٍ أو بخيطٍ، ثمّ أرسَله فى خلِّ القِدرِ والتوابلِ.

فإذا طبخوه تناولَ كلُّ إنسانٍ خيطَه وقد علَّمه بعلامةٍ ثم اقتسَموا المرَقَ، ثم لا يزالُ أحدُهم يسلُّ من الخيطِ القِطعةَ بعد القطعةِ، حتى يبقى الحبلُ لا شىءَ فيه. ثم يجمعون خيوطَهم. فإن أعادوا الملازقةَ أعادوا تلك الخيوطَ؛ لأنها قد تشرَّبتَ الدسَمَ، فقد رَوِيَت.

وليس تناهدُهم من طريق الرغبةِ فى المشاركة، ولكن لأن بضعةَ كلِّ واحدٍ منهم لا تبلغُ مقدارَ الذى يُحتمل أن يُطبخ وحدَه، ولأنّ المؤنةَ تخفُّ أيضًا والحَطب والخل والثوْم والتوابل، ولأن القدرَ الواحدةَ أمكنُ من أن يقدِرَ كلُّ واحدٍ منهم على قِدرٍ. وإنما يختارون السِّكباجْ لأنها تبقى على الأيامِ، وأبعدُ من الفسادِ"(٣١).

وبعض النوادر عن أهل مرو لا نرى فيها ذكرًا لأي مكان، ولكن يظل انتماؤهم لمرو في خلفية النادرة يزيدها فكاهة، كما نرى في هذه النادرة، "وقال سجادة – وهو أبو سعيد سجادة – ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة أشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر مخافة أن تنجرد خفافهم أو تنقب"(٣٢).

ويا لها من صورة رسمت بشكل كاريكاتوري لبخل المراوزة في تلك النادرة، إنها مبالغة فاقت كل وصف، وكل كاريكاتور يمكن أن يرسم في الصحف والمجلات عن أشخاص بخلاء.

وقد ذكرنا أن البخيل حين يكون في بيوت أصحابه فإنه ينبسط وجهه ويخرج دعاباته ليأنس من حوله به، فلا يحاسبونه على دخوله بيوتهم دون أن يدعوهم هو إلى بيته، والمروزي ينطبق عليه هذا الوصف، بل هو يزيد على ذلك بأن يمني أهالي البلاد التي يذهب إليها برده لأفضالهم عليه حين زيارتهم له في بلده مرو، وتكون الكارثة حين يضطر أحد أصحابه من أهالي البلاد التي يفد إليها للذهاب إليه في موطنه

مرو، فهناك يقابله بوجهه الغاضب، وغالبًا ما يتنكَّر له، كما نرى في هذه النادرة، وروى الجاحظ "أنّ رجلاً من أهلِ مرو كان لا يزالُ يحجُّ ويتَّجرُ، وينزِل على رجل من أهلِ العراق، فيكرِمُه ويكفيه مؤنته. ثم كان كثيرًا ما يقولُ لذلك العراقيّ: ليتَ أنى قد رأيتُك بمرو، حتى أكافئك، لقديمِ إحسانك، وما تجدِّدُ لي من البرِّ فى كل قدمةٍ. فأما ههنا فقد أغناك اللهُ عنى.

فعرضتْ لذلك العراقيِّ بعدَ دهرٍ طويلٍ حاجةٌ فى تلك الناحيةِ، فكان ممَّا هوَّن عليه مكابدةَ السفرِ ووَحشةَ الاغترابِ، مكانُ المرْوَزيّ هنالك. فلمَّا قَدِم مضى نحوَه فى ثيابِ سَفرِه وفى عمامتِه وقَلَنسُوتِه وكسائه، ليحطَّ رحلَه عنده، كما يصنعُ الرجلُ بثقتِه وموضعِ أنسِه.

فلمَّا وجدَه قاعدًا فى أصحابِه، أكبَّ عليه وعانقَه، فلم يره أثبتهُ، ولا سأَلَ به سؤالَ من رآه قط. قال العراقيُّ في نفسه: لعلّ إنكارَه إيَّاى لمكانِ القِناع، فرمى بقناعِه، وابتدأ مُساءلته، فكان له أنكَر. فقال: لعلّه أن يكونَ إنما أتِيَ من قِبَلِ العمامةِ، فنزعَها ثم انتسبَ، وجدَّد مُساءلتَه، فوجدَه أشدَّ ما كان إنكارًا. قال: فلعله إنما أتي من قبلِ القلنسُوة.

وعلم المروزيُّ أنه لم يبقَ شيءٌ يتعلَّقُ به المتغافلُ والمتجاهلُ، فقال: لو خرجتَ من جِلدِك لم أعرفْك"(٣٣).

ولم تكتف النادرة بالسخرية من بخل أهل مرو، بل سخرت أيضًا من حيواناتهم وطيورهم، وصورتهم على أن طبع البخل فيهم أيضًا، كما نرى في هذه النادرة، "وقال ثمامة بن أشرس: لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب، قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفِي جواهر الماء فمن ثم عَمّ جميع حيوانهم"(٣٤).

ومن الغريب أن نرى النادرة قد صورت بعض العرب الذين ولدوا وعاشوا في مرو بأنهم اكتسبوا صفة أهلها الأصليين في البخل، كما نرى في هذه النادرة عن القاضي يحيي بن أكثم، "جاء رجل يسأل يحيي بن أكثم، فقال له: أيش توسمت في وأنا قاضٍ؟ والقاضي يأخذ ولا يعطي، وأنا من مرو وأنت تعرف مرو، وأنا من تميم والمثل إلى بخل تميم"(٣٥).

ولا شك أن كثيرًا من النوادر السابقة مولدة على المراوزة، فعنصر الصنعة واضح فيها، وليد الجاحظ دخل في بعضها بالتأليف وإعادة الصياغة أحيانًا، والنادرة الأخيرة لا شك أنها مولدة للنيل من تميم ومن المراوزة ومن القاضي يحيي بن أكثم؛ لأنه عربي سني، وقد عاش في وقت ساد فيه المعتزلة في الدولة العباسية، وكان وزراء العباسيين وكبار كتابهم في ذلك الوقت من الفرس.

الصراع بين البصرة والكوفة في نوادر البخلاء

كان التنافس شديدًا بين أهل البصرة وأهل الكوفة لا سيما في العصر العباسي، حتـــى لقـــد رأينا التميمي البصري يتعصب للأزدي البصري على التميمي الكوفي، وكان من مظاهر التنافس بين الكوفة والبصرة تعصب نحاة الكوفة لآرائهم

النحوية على آراء نحاة البصرة، وبالمثل تعصب نحاة البصرة لآرائهم النحوية على آراء نحاة الكوفة، وقس على هذا تنافسهم في الشعر والرواية وبعض العلوم، ولعل من أسباب هذا التنافس بين هاتين المدينتين أنهما كانتا من أهم المراكز الحضارية في العصر الأموي مع دمشق، وفي العصر العباسي استمر علو شأنهما مع بغداد وسامراء بعد ذلك.

ومن صور التنافس بين هاتين المدينتين ما صورته النادرة بشكل فيه مبالغة لا سيما نوادر البخلاء التي ولد أصحاب كل بلد من هذين البلدين نوادر فيها انتقاص من البلد الآخر في صفة البخل، ومع ذلك فهناك نوادر لا شك تعبر عن واقع كان موجودًا في اتصاف بعض أهل هذين البلدين بالبخل، ولكن النادرة بالغت في وصف كثير من الناس فيهما بالبخل، وأظهرت هذا بشكل كاريكاتوري مما يدل على عنصر الصنعة والتوليد فيها.

ولا نرى في كتاب البخلاء للجاحظ مظاهر الصراع بين هذين البلدين ممثلاً في نوادر البخلاء، ولكننا نرى هذه النوادر في كتاب البخلاء للخطيب البغدادي وبعض الكتب التي اهتمت بجمع النوادر في القرن الرابع الهجري وبعده، ككتاب نثر الدر للآبي، مما يدل على أن النادرة – وخاصة نوادر البخلاء – لم تصور أبعاد الصراع بين هاتين المدينتين إلا في القرن الرابع وما بعده، أو في أواخر القرن الثالث الهجري – على أكثر تقدير – وبعده من قرون.

وكان نصيب الكوفة من النوادر التي تصور بخل بعض أهلها أكثر من النوادر التي تصور بخل بعض أهل البصرة، وأحيانًا نرى واضع النادرة يتعمد بنادرته توضيح أبعاد هذا الصراع حين يفد شخص من إحدى هاتين المدينتين للمدينة الأخرى، ويقع في شباك بخل بعض أهل المدينة التي وفد عليها. وفي النادرة التالية نرى شخصًا يزور بخيلاً من أهل الكوفة في بيته، ويشعر البخيل بسيادته في بيته، ويضطر لإكرام ضيفه فيسئ إكرامه بشكل مضحك، "نزل بكوفي ضيف، فقال لجاريته: اصنعي لضيفنا فالوذجًا، قالت الجارية: ليس عندنا شيء، قال: ويلك فهاتي قطيفة إبريسم حتى ينام"(٣٦).

ولا يستبعد أن يكون الموقف الذي رأيناه في النادرة السابقة مدبرًا بين البخيل وجاريته لكي لا يتكلف إطعام ضيفه.

والنادرة التالية تصور لنا بخيلاً كوفيًّا في بيته، وهو يقوم بفعل غريب لكي لا يهضم صبيانه الطعام الذي أكلوه سريعًا، "وقال بعضهم: بت عند رجل من أهل الكوفة من الموسرين، وله صبيان نيام، فرأيته في الليل يقوم فيقلبهم من جنب إلى جنب، فلما أصبحوا سألته عن ذلك، فقال: هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار فيمريهم الطعام، ويصبحون جياعًا، فأنا أقلبهم من اليسار إلى اليمين لئلا ينهضهم ما أكلوه سريعا"(٣٧).

وفي النادرتين السابقتين لاحظنا وجود شخص مع كل بخيل منهما يتعجب من شدة

بخله، وغالبًا ما يكون هذا الشخص من خارج المكان الذي تجري فيه النادرة لتكون السخرية شديدة من هذا الشخص البخيل ومن البلد الذي ينتمي إليه.

ولم تكتف النادرة بتصوير البخيل في الكوفة متحصناً في بيته داخل مدينته، ويمارس بخله على الوافدين عليه فيه، بل صورت أيضًا بخل بعض أهل الكوفة في أماكن مفتوحة داخل بلدهم، من خلال التصوير الكاريكاتوري الذي يضخم الفعل لإثارة جرعة كبيرة من الفكاهة، كما نرى في هذه النوادر، "قال بعضهم: رأيت واحدًا بالكوفة وقد دَنَا منه بقال وأعطاه مقدار حبة، وقال: أعطني بهذا جبناً، فقال له البقال: شمه وانصرف، ويبقى عليك طسوج"(٣٨).

والنادرة التالية تصور بخل شخص كوفي بشكل فيه مبالغة كبيرة، ونرى فيها عناصر قصصية واضحة من خلال موقف شديد الغرابة والطرافة، وهو يحدث في مكان مفتوح بالكوفة، "وقال آخر: ورأيت بالكوفة صبيًّا ومعه قرصة وهو يكسر لقمة لقمة، ويرمي بها إلى شق في بعض الحيطان يخرج منه دخان، ويأكلها، قال: فبقيت أتعجب منه، إذ وقف عليه أبوه وسأله عن خبره، فقال الصبي: هؤلاء طبخوا سكباجة حامضة كثيرة التوابل، فأنا أتأدم برائحتها، قال: فصفعه أبوه صفعة صلبة كاد يقطع بها رأسه، وقال: تريد تعود نفسك من اليوم ألا تأكل خبزًا إلا بأدم"(٣٩).

وأحياناً تصور النادرة طريقًا بالكوفة يقع على جانبيه بيوت لأشخاص بخلاء، ويشهد هذا الشارع المواقف الطريفة التي تحدث بينهم، كما نرى في هذه النادرة، "وقال عمر بن ميمون: مررت ببعض طرق الكوفة فإذا أنا برجل يخاصم جارًا له، فقلت: ما بالكما؟ فقال أحدهما: إن صديقًا لي زارني، فاشتهى رأسًا فاشتريته، وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها، فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس"(٤٠).

والنادرة التالية نرى فيها قصة طريفة مكتملة العناصر من حدث مشوق وأشخاص فيها، ومكان يجري الحدث به، وهو بالكوفة، ونرى في هذه النادرة مفارقة تثير الفكاهة، فالشخص الذي وفد على الكوفة من خارجها تعجب حين طلب ماء إلى جارية في بيت، فقدمت له لبنًا، ثم فوجئ بعد ذلك بأن ما ظنه كرمًا منها كان حيلة وقع فيها، "قال الجاحظ: سمعت بعضَ أصحابنا يذكر أن رجلاً أعرابيًّا كان يمشى فى بعض دروبِ الكوفة فى يومٍ قائظ شديدِ الحر، فلظّى به العطشُ، فتقدم إلى بابِ دار فطرقه، فخرجت إليه جاريةٌ، فقال لها: قد لَظّنى العطشُ فاسقينى كوزًا من ماء، فقالت له: والله ما عندنا ماء ولكن عندنا لبنٌ فهل لك أن تشرب منه؟!

فقال لها الرجلُ: ومن لى بذلك؟! فأخرجت إليه فخارة فيها لبنٌ ودفعتها إليه، فعجبَ الرجلُ وقال لنفسه: أليس يذكرُ عن أهل الكوفة البخل وأنا قد طلبتُ من أهل هذه الدارِ ماء فسقونى لبنًا، وهذا غاية الكرم.

ثم وضع الفخارة على فمِه وشربَ فبدا له فى اللبنِ ذنبُ فارة ميتة! فنحَّى الفخارة عن فمه، وقال للجارية: يا هذه إنى أرى فى الفخارة فأرة ميتة!

فقالت الجاريةُ: فأرة أخرى ؟! فرمى بالفخارةِ عن يده إلى الأرضِ فسقطت وانكسرتْ، فبادرت الجارية إلى مولاتها صارخةً تولول وتقولُ:

يا ستِّى كسرَ الرجلُ مَبْوَلَتك"(٤١).

وقد رأينا النوادر السابقة فيها نيل من بعض أهل الكوفة في وصفهم بالبخل، ولكننا نرى نوادر قليلة تصف بعض أهل البصرة بالبخل، وقد سبق أن قلت: إنها قد تكون مولدة خلال الصراع بين أهل هاتين المدينتين. وها هما تان نادرتان فيهما وصف لشخصين من أهل البصرة بالبخل، وإن كان لا يستشف منهما اتهام كل أهل البصرة بالبخل، "وقال بعض أهل العلم: كان عندنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفًا أديبًا، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمر بنا، فكلما رأيناه قلنا له ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(*) فيسكت إلى أن اجتمع ما نريد فمر بنا فأعدنا عليه فقال ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾(**)"(٤٢).

"وحكى بعضهم قال: كان عندنا بالبصرةِ رجلٌ ميسور وكان بخيلاً على نفسهِ وعلى عياله، فدعاه بعضُ جيرانه فوضع بين يديه طَبَاهِجَة ببيض فأكل فأكثر، وجعل يشربُ الماءَ، فانتفخ بطنُه، ونزل به الكربُ، والموت، فجعل يتلوى.

فلما أجهده الأمرُ، وخاف الموتَ على نفسه، بعث إلى جار له متطبب فدخل عليه، فقال: ما حالك؟ قال: أكلتُ طباهجة ببيض وشربت ماءً كثيرًا، وقد نزل بى الموت.

فقال: لا بأسَ عليك، قم فتقيأ ما أكلتَ، وقد برئتَ فقال: هاه أتقيأ "طباهجة ببيض" أموتُ ولا أتقيأ طباهجة ببيض أبدًا"(٤٣).

والنادرة التالية فيها تصوير واضح للصراع بين الكوفة والبصرة، وواضع هذه النادرة لا شك أنه كوفي أراد بها أن ينال من البصريين لكل ما ولدوه من نوادر عن البخل فيها انتقاص بأهل الكوفة، " كان بالكوفةِ رجلٌ من المُصلِحين – وهذا لقبُ المقدَّمين منهم فى اللؤمِ – فبلغَه أنَّ بالبصرةِ رجلاً من المصلحين مقدَّما فى شَأْنِه، فقام الكوفىُّ، وصارَ إلى البصرةِ ليَلْقَى صاحبَه. فلما قدمَ عليه قال له: مَنْ أنتَ؟. قال: أنا مصلحٌ من أهل الكوفةِ، وقد بلغنى خَبَرُك، فرحَّب به، وأدخلَه البيتَ وأجلَسَه، وأخذ قطعةً، ومرَّ ليشترى له شيئًا يأْكلُه. فلما خرج إلى السوقِ دَنا من البقالِ، فقال: عندك خبزٌ؟ فقال: عندى خبزٌ كأَنَّه السمنُ، فقال المصلحُ فى نفسهِ: لِمَ لا أشترِى ما نعتَه به؟ فذهب إلى آخرَ، وقال: أعندَك سمنٌ؟ فقال: عندى سمنٌ كأَنَّه الزَّيتُ، فقال فى نفسهِ: أذهبُ فآخذُ ما نعتَه به. فذهبَ إلى بقَّالٍ آخرَ، فقال: عندك زيتٌ؟ قال: عندى زيتٌ كأَنه الماءُ، فقال فى نفسه: عندِى والله راويةُ ماءٍ.

فرجعَ إلى البيتِ، وأخذ الماءَ فى غَضَارةٍ وقدمه إلى الكوفىّ وقال: كُلْ هذا، فإنه نعتُ

النَّعتِ، فقال الكوفى: أنا أشهدُ أنكم أحذقُ بالإصلاحِ منَّا بِألفِ دَرجة"(٤٤).

وعنصر التوليد واضح في هذه النادرة الأخيرة، كما لمسناه في كثير من النوادر التي عبرت عن التنافس بين هاتين المدينتين قديمًا.

وبهذا نرى أن المكان له آثار كبيرة في نوادر البخلاء، فهو يحدد لنا سلوك البخيل في النادرة، ويكون عاملاً مهمًّا لزيادة جرعة الفكاهة بها، كما أنه يوحي بدلالات عديدة ذكرناها في هذه الدراسة.

الهوامش:

١. ومن هذه الدراسات عن كتاب البخلاء للجاحظ: دراسة أحمد بن محمد بن أمبيريك: صورة البخيل الفنية. الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٥م، ود. فاروق سعد: مع بخلاء الجاحظ. دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات. بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢. الجاحظ: البخلاء. تحقيق: د. طه الحاجري. القاهرة، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٠م، ص١٧- ٢٨.

٣. د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي). القاهرة، دار المعارف، ط٢٤، ص٦٨.

٤. انظر في هذا: صورة بخيل الجاحظ الفنية. ص١٧٧- ١٧٨، ود. فدوى مالطي دوجلاس: بناء النص التراثي في الأدب والتراجم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص٢٨.

٥. يمكن تعريف المكان بأنه الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، ويتعقبه الوصف. انظر في هذا: د. جابر عصفور: زمن الرواية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٤٧، ود. سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ص١٠٦، ود. إبراهيم السعافين: تحولات السرد دراسات في الرواية العربية. عمان. الأردن، دار الشروق، ١٩٩٦م، ص١٦٥.

٦. ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين. بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي. بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٠٦- ١٠٧.

٧. الآبي: نثر الدر. تحقيق: محمد علي قرنة. مراجعة: علي محمد البجاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ٢٧٨/٣.

٨. البخلاء للجاحظ، ص٥٤، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٧٥/٣.

٩. (*) سورة الإنسان: الآية ٩.

١٠. البخلاء للجاحظ، ص٤٥.

١١. نثر الدر، ٢٨٥/٣.

١٢. الخطيب البغدادي: البخلاء. حققه وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم. القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠م، ص٦٤، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٨٨/٣.

١٣. الحصري القيرواني: جمع الجواهر في الملح والنوادر. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢١٦، وانظر أيضًا: نثر الدار، ٢٨٢/٣.

١٤. نثر الدر، ٢٧٥/٣.

١٥. الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. شرحه ووضع هوامشه: د. مفيد محمد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٩٥.

١٦. البخلاء للخطيب البغدادي، ص٦٠.

١٧. ابن قتيبة: عيون الأخبار. بيروت، دار الكتاب العربي، مج٣، ص٢٥٩.

١٨. البخلاء للجاحظ، ص٤٢.

١٩. المصدر السابق، ص٤٢.

٢٠. البخلاء للخطيب البغدادي، ص٧٩.
٢١. المستطرف، ص١٨٥، وابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ٢٠٨/٧.
٢٢. نثر الدر، ٢٩٠/٣، ووردت النادرة بصورة مختلفة عن ورودها في كتاب نثر الدر في العقد الفريد، ٢٠٦/٧.
٢٣. المستطرف، ص٥٣٧.
٢٤. البخلاء للجاحظ، ص١٥٠، وانظر أيضًا: البخلاء للخطيب البغدادي، ص١٣٦.
٢٥. البخلاء للجاحظ، ص٢٢٨، ٢٣٧.
٢٦. انظر: نادرتين فيهما توجيه صفة البخل لأعرابيين في: الآبي: نثر الدر. تحقيق: د. سيدة حامد عبد العال. مراجعة: د. حسين نصار. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٦، قسم٢، ص٤٧٣، والجاحظ: البيان والتبيين. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت، ٩/٤.
٢٧. البخلاء للجاحظ، ص١٧.
٢٨. البخلاء للجاحظ، ص٢٤، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٨٣/٣.
٢٩. هنري برجسون: الضحك "البحث في دلالة الضحك". ترجمة: سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص٨٥.
٣٠. البخلاء للجاحظ، ص١٨، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٨٢/٣.
٣١. البخلاء للجاحظ، ص١٨.
٣٢. البخلاء للجاحظ، ص٢٣، وانظر أيضًا: المستطرف، ص١٨٤.
٣٣. البخلاء للجاحظ، ص٢٨.
٣٤. البخلاء للجاحظ، ص٢٢.
٣٥. المصدر السابق، ص١٨، والعقد الفريد، ١٩٤/٧.
٣٦. البخلاء للخطيب البغدادي، ص١٣٠.
٣٧. نثر الدر، ٢٨٢/٣.
٣٨. البخلاء للخطيب البغدادي، ص٨٤.
٣٩. نثر الدر، ٢٨١/٣.
٤٠. نثر الدر، ٢٨٠/٣، وانظر أيضًا: ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين. تحقيق: د. أحمد أحمد شتيوي. القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٥٥.
٤١. المستطرف، ص١٨٧، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٨٢/٣، وعيون الأخبار، ٢٦٠/٣، والعقد الفريد، ٢٠٤/٧.
٤٢. البخلاء للخطيب البغدادي، ص١٣٤.
٤٣. (*) سورة الملك: الآية ٢٥.
٤٤. (**) سورة المرسلات: الآية ٢٩.
٤٥. أخبار الظراف والمتماجنين، ص٨٩.
٤٦. البخلاء للخطيب البغدادي، ٥٦.
٤٧. نثر الدر، ٢٧٩/٣.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

•الأبشيهي

المستطرف في كل فن مستظرف. شرحه ووضع هوامشه: د. مفيد محمد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

•الآبـــي

نثر الدر. ج٣ تحقيق: محمد علي قرنة. مراجعة: علي محمد البجاوي سنة ١٩٨٣م، وج٦ قسم٢. تحقيق: د. سيدة حامد عبد العال. مراجعة: د. حسين نصار سنة ١٩٩٠م. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

•**الجاحـــظ**

- البخلاء. تحقيق: د. طه الحاجري. القاهرة، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٠م.
- البيان والتبيين. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

•**ابن الجـــوزي**

- أخبار الحمقى والمغفلين. تحقيق: د. أحمد أحمد شتيوي. القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٢٧هـــ/٢٠٠٦م.
- أخبار الظراف والمتماجنين. بعناية: بســـام عبد الوهاب الجابي. بيروت، دار ابن حزم للطباعـــــة والنشـــــر والتوزيـــــع، ط١، ١٤١٨هـــ/ ١٩٩٧م.

•**الحصري القيرواني**

جمع الجواهر في الملح والنوادر. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م.

•**الخطيب البغدادي**

البخلاء. حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم. القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠م.

•**ابن عبد ربـــه**

العقد الفريد. تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٣م.

•**ابن قتيبـــة**

عيون الأخبار. بيروت، دار الكتاب العربي.

ثانياً: المراجـع

- **إبراهيم السعافين (دكتور)**

تحولات السرد دراسات في الرواية العربية. عمان. الأردن، دار الشروق، ١٩٩٦م.

- **أحمد بن محمد بن أمبيريك**

صورة البخيل الفنية. الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٥م.

- **جابر عصفور (دكتور)**

زمن الرواية. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- **سيزا قاسم (دكتور)**

بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

- **شوقي ضيف (دكتور)**

تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي). القاهرة، دار المعارف، ط٢٤.

- **فاروق سعد (دكتور)**

مع بخلاء الجاحظ. دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات. بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.

- **فدوى مالطي دوجلاس (دكتور)**

بناء النص التراثي فـــي الأدب والتـــراجم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

- **هنري برجسون**

الضحك "البحث في دلالة الضحك". ترجمة: سامي الدروبي وعبدالله عبد الدايم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.